إستراتيجية نشر ثورة التحرير في أقصى الجنوب في أقصى الجنوب الجزائري" منطقة الهقار " أنموذج"

أ.محمد مبارك كديده

المركز الجامعي تامنغست

الملخص:

يتحدث البحث عن المناهج و السبل المتبعة من قبل قيادات و هيئات ثورة التحرير الجزائرية من أجل توسيع رقعة معركة التحرير إلى كافة ربوع الجزائر و خاصة مناطق أقصى الجنوب كما يتحدث عن العقبات التي اعترضتها في سبيل تحقيق ذلك و هذا اعتمادا على شهادات المجاهدين الذين عملوا مع الولاية السادسة أو الخامسة أو الجبهة الجنوبية بعد إنشائها محللا الظروف و الدوافع و الإنجازات و أيضا بالإعتماد على المصادر المكتوبة لمن قاموا بهذه المهام و دونوها

Resume:

l'expose étude les moyens adoptés par les chefs de la révolution de la libération algérienne pour l'expansion de la guerre de libération à toutes les parties de zones Algérie et au sud que de parler des obstacles auxquels ils sont confrontés pour atteindre cet objectif et ce en fonction des témoignage des moudjahidin qui ont travaillé avec la sixième ou cinquième wilaya ou le front sud après ses création et analyse les réalisations et en s'appuyant également sur des sources écrites pour ceux qui ont réalisé ces tâches et ils ont écrit.

تقديم:

إن تاريخ الثورة الجزائرية وكتابته ومناهج تناوله ظلت ولازالت الشغل الشاغل لتفكير المتخصصين في بلاد عرفت حركة نحو تشجيع البحث العلمي في هذا المجال فبعد ستين عاما من إندلاع هذه الثورة هاهي تحظى بجلسات علمية متخصصة ،فإن كان وإلى وقت ما من الصعب تناول المواضيع التي تحصر الحيز الجغرافي الصحراوي لأسباب موضوعية فما بالك تناول مواضيع تخص ثورة التحرير الجزائرية التي ترهن الباحث لقلة مادتها العلمية وتشعب مواضيعها وخصوصيات المجتمعات فيها فلا مجتمع مناطق وادي سوف يشبه نظيره في مناطق وادي ميزاب و لا توات و لا الهقار و لا وادي ريغ .... و غيرها من مناطق الصحراء الجزائرية الشاسعة جدا ، إلا أن ما يعبر عن خُطُو الجزائر خطوة كبيرة في مجال كتابة تاريخها الوطني و خاصة تاريخ ثورتها ، إنها اليوم استطاعت تكوين نخبة من الباحثين في هذا المجال بل و جامعات و مراكز جامعية تحتضن و تؤطر مبادرات فعالة في طريق تدوين التاريخ بأساليب علمية تعطيه مكانته المنوطة به ، إنها خطوة لا يمكن أن يستهان بها في طريق تحرير الذاكرة .

01- منهج التعامل مع التاريخ في مناطق أقصى الجنوب الجزائري :

إن موضوع التاريخ و اشكالية كتابة وكيفية تناوله وفهمه ونلقبه من قبل القارئ المحلي على مستوى الجزائر لهو أمر هام جدا لابد من التطرف إليه قبل التعمق في مواضيعه لأنه سيسمح لنا بالفهم الصحيح والعميق للظروف التي تحكم البحث التاريخي بصفة عامة والدارسلفترة الاحتلال الفرنسي بوجه خاص ، وتمكن أهمية كتابة التاريخ في أنها حلقة من حلقات الامن الفكري من جانبه التاريخي وضرورة إنتاج الأمم التي تدرك أهمية ذلك أيديولوجيتها الفكرية بنفسها وليس استيرادها أومحاولة نسخها من الامم التي تنتجها ، و التي لا تخدم مستورديها بل قد يكون هدفها استيعاب هؤلاء الباحثين عن وعاء فكري جاهز في هذا المجال فتكون ضحية ضمن إستراتيجية لاتدرك حدودها لأنها ليست هي صانعتها وقد تكون متعددة الاتجاهات سياسية وإيديولوجية و حتى عقائدية ...[1].

ومن الناحية العلمية أيضا هناك معركة حامية الوطيس بين مدرسة الاحتلال الفرنسي ذات العراقة والبعد التاريخي والخلفية المتعلقة بماضي فرنسا في الجزائر من حدود سنة ثلاثين ثمان مائة وألف[2] ونظريتها الجزائرية التي حاولت أن تؤسس لنفسها من سنوات إسترجاع الجزائر سيادتها،ففي مرحلة اهتمت بحصر المواضيع والجمع وتدوين الشهادات[3]، ثم انتقلت بموازاة ذلك إلى الاهتمام بصنع باحثين في التاريخ متمكنين من المناهج العلمية الحديثة حتى يتمكنوا من تدوين تاريخ بأسس علمية صحيحة .

وإن كان بعض المؤرخين الاوائل قد اعتبروا أن كتابة تاريخ الثورة لم يحن بعد وعلى سبيل المثال لا الحصر شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله رحمه الله الذي ترك لنا تراثا تاريخيا سيظل خالدا يشكل إسهامه الكبير في كتابة تاريخ الجزائر، حين برر عزوف الجزائريين عن كتابة التاريخ وحين برر عدم إمكانية كتابة تاريخ الثورة بسبب تواجد من كانوا في خضم أحداثها وصانعيها احياء بيننا[4] ، وقد تكون نظريته هذه صحيحة فربما لا يسمح هذا الامر بكتابة موضوعية وبعيدا عن الخوض في جدل صحة ذلك من عدمه أفضل التركيز على رأيه القائل:*«...يسود الاعتقاد بيننا الآن أن تاريخ الثورة غير مكتوب وهو الاعتقاد السائد منذ زمن بعيد وكان الواجب أن يوسع التساؤل يذهب إلى أننا لم نكتب تاريخنا كله ،بمراحله المختلفة وعلاقاته المتشابكة ويرجع بعضهم هذا التوقف عن الكتابة التاريخية عندنا إلى عامل السلطة، وآخرون إلى عامل الحساسية المفرطة وقد كتبنا عن ذلك و عزوناه إلى عامل الخوف من التاريخ نفسه .وبذلك يصبح إهمال التاريخ نوعا من محاولة دفن آثار الجريمة الجماعية ...»*[5].

هذا المقال يتحدث عن تاريخ الثورة و كتابته ارتأيت ومن الضرورة بمكان أن أعرج عن هذه القضايا فمن وجهة نظري و إنطلاقا من تجربتي المتواضعة في مجال البحث التاريخي خاصة في فترة ثورة التحرير وجدت آراء أبو القاسم سعد الله صائبة خاصة المتعلقة بالحساسية من التاريخ والخوف منه ،فبشعوري بثقل المهمة الملقاة على

عاتقي من قبل ثلة من الاساتذة الذين لم يخفوا سعادتهم بمجهوداتي في سبيل كتابة التاريخ المحلي في أقصى الجنوب ، و لم يكفوا عن تشجيعي عن الخوض في غمار كتابة جزء من التاريخ الوطني إلا المهمة تقف في وجهها مجموعة من العقبات ، بداية بالمادة العلمية و نوعية الوثائق فالوثائق الأرشيفية نادرة و المخطوطة كثير منها اندثر بسبب ظروف و طريقة حفظها عند مالكيها ، يضاف إليه المستوى الثقافي الذي كثيرا ما يحول بين الباحث و صانع الحدث الذي أصبح يتوجس خيفة من الحديث عن الكثير من الأحداث التي عايشها للمؤرخين المتخصصين خوفا من التاريخ ، و ليس لأن ما يقوله غير صحيح و إنما مراعاة لمشاعر آخرين و الغريب أنه هؤلاء الذين يراعي مشاعرهم لم يكونوا ضد و أنما لم تسعفهم الظروف للمشاركة لا غير ، مما يجعل الباحث يبذل جهدا كبيرا للإقناع ثم جهدا مضاعفا لاستخراج المعلومات و تنظيمها ، و لأن الثقافة السائدة في مناطق أقصى الجنوب الجزائري كانت تعتمد على الذاكرة الشفهية التي تنقل المعلومات مشافهة بالحفظ أكثر من التدوين و لهذا أيضا أسبابه و ظروفه.

و حتى الانتاج العلمي لا يلقى قبولا في غالب الأحيان خاصة إن راع الباحث المنهج العلمي و الأسلوب التاريخي و الموضوعية العلمية البعيدة عن التمجيد و المبالغات ، و رغم أن الإنتقادات لا تكون مباشرة إلا أنها تستنتج من بعض الآراء أنها كانت تأمل أن يرى تفاخرا و تمجيدا بأسلوب أدبي و انطلاقا من أساطير لا يمكن أن تقع تناولها الذاكرة الشعبية و رسخت في ذاكرتهم على أنها معلومة تاريخية كاملة و صحيحة كما هي و لم تعتريها إي إضافات ، و هو ما نعته سعد الله بالحساسية من التاريخ ، إضافة إلى أن المكلفين بالمهام على المستوى المحلي في بعض من مناطق أقصى الجنوب الجزائري في فترة الثورة و نظرا لرتبهم لم يكونوا يدركون الاستراتيجية الكبرى المسطرة من قبل قياداتهم الأعلى رتبة في أعلى هرم الثورة الجزائرية و غيرها من العقبات التي تعتبر تحديات على الباحث تخطيها و ليس اتخاذها عذرا للعزوف عن الكتابة لخدمة الغاية الأسمى حتى لا نترك تاريخنا دون تدوين أو نترك الفراغ لأقلام قد تزيف أو تحرف أو تستعمله لخدمة غاياتها و تخرجه من الغايات العلمية و التي لا تخدمه كتاريخ يعد أمانة للأجيال.

02-إستراتيجية نشر ثورة التحرير في الصحراء بعد عام 1956:

إن الحديث عن استراتيجية نشر ثورة التحرير في الحيز الصحراوي بداية من عام ست و خمسين تسع مائة و ألف مرده إلى أنها السنة التي عقد فيها مؤتمر الصومام ، و هو اللقاء التاريخي الذي أنشأت بموجب قراراته الولاية السادسة و بالتالي جسدت استراتيجية نشر الثورة جنوبا ، لأن المفجرين الأوائل قسموا الجزائر إلى خمسة مناطق و لم تكن من ضمنها المناطق الصحراوية[6] ، و وضعت مناطقها خارج مخطط العمليات لتجسد مخطط آخر و هو الدعم و الاسناد و تزويد الثورة بالسلاح القادم من الحدود خاصة الحدود الشرقية في المرحلة الأولى و هي الحدود الملامسة لكل من ليبيا و تونس[7].

و بعد مؤتمر الصومام أنشأت الولاية السادسة التي كانت تغطي مساحة شاسعة من مناطق الصحراء الجزائرية الوسطى و الشرقية أما المناطق الغربية فكانت ضمن إطار الولاية الخامسة[8] ، هذا لا يعني أنها كانت بمعزل عن ما حصل في غرة نوفمبر أربع و خمسين تسع مائة و ألف خاصة المناطق الشمالية من الصحراء فمناطق بسكرة و وادي سوف التي كانت قريبة من المنطقة الأولى (أوراس النمامشة) عرفت عمليات في شهر نوفمبر من نفس السنة[9] ، إلا أن التجسيد العملي جاء بعد نشأة الولاية السادسة التي تعاقب على قيادتها كل من علي ملاح(المدعو سي الشريف) ما بين عامي 1956-1957 و أحمد بن عبد الرزاق (المدعو سي الحواس) ما بين عامي 1958-1959 و محمد شعباني ما بين عامي 1959-1962[10] ، و قد عرفت الولاية السادسة تطورا كبيرا في عهد قائديها سي الحواس و شعباني و تجسدت فكرة تعميم الثورة نحو أعماق الجنوب الجزائري في عهديهما عمليا، و لا غرابة في ذلك لأن شعباني عمل تحت قيادة سي الحواس قبل أن يستشهد هذا الأخير و يخلفه الأول في قيادة الولاية و قد كان حاضرا معه في تسطير الاستراتيجية و هذا ما عبر عنه جغابة محمد المكلف شخصيا بالمهمة قائلا: «... حين فرغ سي الحواس من تقديم عرضه قال لي (ربما كخلاصة لكلامه ؟) ما يلي: « لقد كلفتك بإنجاز مهمة مع بعض الجنود ، في جنوب الوطن و ذلك بهدف جمع الأسلحة و الأموال ، و تنصيب خلايا جديدة وسط السكان عبر كافة أرجاء المناطق الصحراوية من مدينة "بريان" إلى تمنراست ثم لاذ بالصمت فجأة ليطلب من محمد "شعباني" تسليمي جميع التعليمات كتابيا و تعريفي بالدليلين اللذين يرافقاني نحو الجنوب... »[11].

من خلال هذه الشهادة نعرف سر استمرار توغل الثورة جنوبا رغم ما استشهاد قائد الولاية السادسة و رغم الظروف التي مرت بها الولاية الصحراوية ، و التي لم تؤثر على صاحب المهمة لأنها جرت في خضم توغله في أعماق الصحراء من متليلي إلى غرداية إلى المنيعة إلى عين صالح إلى تامنغست في ظروف صعبة و حصار محكم لقوات الإحتلال لمناطق الصحراء متباعدة الأوصال و منخفضة الكثافة السكانية[12].

و قد سارت الأمور وفق مخطط قيادة الولاية السادسة في نشر خلايا الثورة إلى غاية مناطق هقار في سنة 1956م ، و اشتغلت الخلايا في هذه المرحلة بسرية تامة و أدت مهامها المسطرة لها ، و نظرا لطبيعة المناطق و تباعدها كانت الأولوية في هذه المرحلة التعبئة و التكوين ، و بدخول الولاية السادسة مرحلة القلاقل و الحل من قبل هيأة الأركان تغيرت الاستراتيجية نوعا ما و تأثرت رغم أن بعض المناضلين على الأرض لم يدركوا ماذا كان يحدث و استمروا في تنفيذ الأوامر المعطاة لهم سابقا[13].

و نفس الشيء لاحظناه على أجوبة المجاهدين الذين تحدثنا معهم حول قضية تداخل قيادة الولاية السادسة و الخامسة ما دام جغابة محمد و هو الذي قام بكل هذه المهمة الجليلة و الصعبة و هو الذي خاض كل المخاطر و نجح في تنصيب كل تلك الخلايا لم يجد تفسيرات لذلك حين أدلى بشهاداته ، و هو الذي كان أعلى رتبة منهم فلماذا هذا التحول و لماذا؟ و هل يعني هذا تغيرا في الاستراتيجية ؟

03- إستراتيجية نشر ثورة التحرير في الصحراء بعد عام 1960 :

بعد عام ستين تسع مائة و ألف ظهرت تطورات جديدة على الساحة حيث أظهر الإحتلال الفرنسي تركيزه على الحيز الجغرافي الصحراوي بإجراءات سياسية و عسكرية سببها الأول عدم تمكنه من القضاء على الثورة و لا حصارها و لا وقف انتشارها ، يضاف إليها اكتشاف الثروات الباطنية و استخراجها خاصة المحروقات فأهمية البترول آخذة في الازدياد[14].

بل ظهرت المشاريع الفرنسية الهادفة لفصل الصحراء علنا ، و أخذت فرنسا تطور من مشاريعها واحدا تلو الآخر كلما بدا أن هذا المشروع لم يحقق المرجو منه يتم استبداله بآخر و غالبا ليست هذه هي القاعدة الأساس و أنما نستنتج كذلك أن الاحتلال إنما كان يطور من مشاريعه فبداية بالمنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية ثم وزارة الصحراء ، و إزدادت عمقا و وضوحا و خطورة بمحاولة إغراء أعيان ميزاب و أعيان التوارق إلى مشروع الجمهورية الصحراوية[15]، و بطبيعة الحال تغيرت الإستراتيجية المنتهجة في هذا الحيز الجغرافي و أيضا نفس الشيء يمكن أن يقال عن الأهداف المبتغات من هذه الإستراتيجية الجديدة فيما تمثلت وإلى أي مدى نجحت في تحقيق ما هو مسطر لها؟ .

أ)- على الصعيد السياسي : فيما يخص المجال السياسي وضعت جبهة التحرير الوطني في حسابها كل ما يمكنها من دحر إستراتيجية الإحتلال منتهجة الخطوات التالية:

01-السعي و العمل على تحقيق مقاطعة الشعب للإدارة الفرنسية وهذا من شأنه إضعاف و إفشال مخططات الإحتلال المبنية على أساس عزل الشعب عن الثورة و ذلك بتشكيل تنظيمات سرية داخل المدن و القرى و المداشر تعمل على حل النزاعات والتكفل بمختلف المشاكل التي كانت تظهر على الساحة المحلية من حين لآخر، و تدعيم الإتصال بالشعب و نشر اليقظة و التوعية و دعوته إلى الاستقالة من كافة هياكل الإدارة الإستعمارية و التعبير عن دعمهم للثورة و جبهة التحرير الوطني[16] ، و قد إستعملت عدة طرق منها المناشير التي كان تداولها مؤثرا ثم تجاوزته الجبهة إلى إجراء آخر أكثر تأثيرا و ذلك بالإعتماد على مجاهدين لهم قدرات سياسية و بإمكانهم القيام بالدعاية[17] .

02- الدعوة لمقاطعة الانتخابات والنشاطات السياسية التي ترعاها أو تتبناها سلطات الإحتلال الفرنسي ، و منع النواب من حضور إجتماعات حمزة بو بكر[18] المروجة لمشروع الجمهورية الصحراوية الفرنسي و تحذيره من مغبة المضي في تلك المخططات التي يدعمها الإحتلال الفرنسي بكل الامكانيات المادية و المعنوية[19].

03- ضرب استقرار الشركات البترولية الأجنبية التي منحتها فرنسا امتيازات و حوافز للإستثمار في مجال التنقيب و استخراج الثروات في الصحراء الجزائرية ، يضاف إليه سعي الحكومة المؤقتة لإبلاغ دول هذه الشركات بعدم جدوى و فعالية الصفقات المبرمة مع الحكومة الفرنسية سنة 1959 كونها لا تملك حق عقد إي صفقة تخص إستغلال الثروات الجزائرية لأنها ليست الجهة المالكة لها[20].

04- إبراز تضامن الشعب مع ثورة التحرير و احتضانه لها لإثبات بطلان النعوت التي كان الإحتلال يطلقها على المجاهدين و مثال ذلك اتخاذ يوم 05 جويلية 1961 يوما وطنيا ضد سياسة التقسيم ، فبرغم حشد قوات كبيرة لكسر الإضراب العام و الشامل تمسك الشعب باليوم و خرجوا في مظاهرات ضد التقسيم في كل من بسكرة و الجلفة و الأغواط و في غرداية عام 1960 و في مدينة توقرت سنة 1961 و في ورقلة 1962[21] .

05- سعي الإحتلال الفرنسي للإستفادة إقتصاديا و الحصول على أكبر قدر من الإمتيازات و هذا ما قابلته خطة محكمة من قبل جبهة التحرير الوطني مثل تصورا جزائريا مبكرا لإستغلال الثروات أحسن إستغلال من أجل تنمية إقتصاده المستقبلي و إنعكاسه إيجابا على المجتمع الجزائري بالأرقام و في مختلف القطاعات فعلى سبيل المثال النفط و الغاز الطبيعي فإذا كانت فرنسا فكرت في خطة تجعل من إقتصادها واحد من أعظم إقتصاديات العالم فإن جبهة التحرير الوطني فكرت أيضا في إقتصاد جزائري مزدهر و لكي لا نقول انه كان لديها نفس الطموح يمكن القول أنه كان لديها طموح و إستراتيجية واضحة[22].

06- أما على الصعيد الديبلوماسي فلم تفوت جبهة التحرير الوطني أية فرصة تتاح لها على الصعيد الديبلوماسي فعلى سبيل المثال لا الحصر إستغلال التفجيرات النووية الفرنسية لتثبت للجميع خطورة الإحتلال الفرنسي على الجزائريين ، فمن خلال منبر الجامعة العربية دعت إلى ضرورة القيام بإجراءات عملية منها قيام الدول العربية بالمقاطعة السياسية و الإقتصادية للحكومة الفرنسية ، و السعي على نفس المنحى لدى الدول الإفريقية و الآسيوية و دعوتها لدعم الثورة الجزائرية بالسلاح والمال[23]، فقد دعى توفيق المدني و من منبر الجامعة العربية الدول الإفريقية و الآسيوية إلى مزيد من الإعترافات ردا على السياسة الفرنسية في الجزائر[24]، كما إستغلت التجمعات الإفريقية لكسب المزيد من الدعم و التأييد للقضية الجزائرية و فيما يخص الصحراء فإن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قامت بإرسال مذكرة خاصة بشأنها إلى الدول الإفريقية تبرز من خلالها أهداف الإحتلال الفرنسي في هذا الحيز الجغرافي[25]

ب)- على الصعيد العسكري: نفس الشيء يقال عن الإستراتيجية العسكرية التي إختلفت عن تلك المنتهجة في المرحلة الأولى حيث شملت التنظيم العسكري المناطق الصحراوية التي لم يتمكن من أن يضع فيها خلاياه في المرحلة السابقة و يمكن تلخيصها في ما يلي:

01- نشر الثورة في الصحراء مهما كانت الصعوبات التي تعترض ذلك ففي الجزء الشرقي الذي وضعت مناطقه تحت قيادة الولاية السادسة المنشأة فقط بعد مؤتمر الصومام كما أسلف ذكره و الذي أعاد الإعتبار لمناطق كانت خارج حسابات مفجري الثورة التحريرية لعدة أسباب، و بهذا تكون الثورة قد حققت هدف الشمولية رغم أنها لم تتمكن من جمع كل المسؤولين و الممثلين في هذا المؤتمر التاريخي إلا أنّها تمكنت من وضع أرضية تمكنها من إعادة الإعتبار لهذه المناطق[27]، و من أجل سياسة أخرى في المناطق الجنوبية البعيدة تم إنشاء منطقة خامسة مشكلة من غرداية و متليلي و ورقلة و تامنغست و تأطيرها لتصبح مناطق إنطلاق و هو ما يسمح بالتوغل جنوبا لإستقطاب وجهاء و أعيان القبائل و تجنيدهم لخدمة الثورة و إطفاء نار الفتن التي كان يبثها المحتل الفرنسي من حين لآخر ، و مد شبكات الثورة التحريرية إلى غاية مناطق أقصى الجنوب ،أما الجهة الغربية من الصحراء فكانت تابعة للولاية الخامسة التي كانت مساحتها هي الأخرى شاسعة و التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الحدود المالية جنوبا و يحدها شرقا كل من الولاية الرابعة و الولاية السادسة و غربا الحدود المغربية و الموريتانية و لم تكن كل مناطقها صحراوية كما هو الشأن بالنسبة للولاية السادسة[28].

02-محاربة الإستراتيجية العسكرية الفرنسية التي تهدف إلى إبقاء الصحراء الجزائرية أرضا هادئة دون أن تتضمن ميادين للحرب ، و كانت لا ترغب أبدا في قيام جيش التحرير و لا تواجده بها[29] ، و لم توفق في ذلك فكما أسلفنا قامت جبهة التحرير بوضع خطة لمد الثورة جنوبا إلى غاية مناطق أقصى الجنوب[30] و لما شددت قوات الإحتلال الفرنسي على الصحراء و كثفت من تواجدها العسكري كان رد فعل الثورة أن أقدمت على إجراء آخر من شأنه إثبات تواجد جيش التحرير الوطني بالصحراء و ذلك بإنشاء منطقة أقصى الجنوب سنة 1960[31] إنطلاقا من الحدود المالية دخل مجندوها التراب الجزائري بعد إتمام تدريبهم و جاهزيتهم[32]و هو ما سنتحدث عنه لما نتحدث عن دور الجبهة الجنوبية و منطقة الهقار في استراتيجية الثورة في المرحلة الأخيرة من معركة التحرير.

03-القيام بتجنيد عدد كبير من الشباب و في شتى المجالات مثقفين و أدلاء و ميكانيكيين لإستخدامهم في زرع الألغام و تنظيم مكاتب سرية هدفها جمع المعلومات عن قوات الإحتلال و الشركات البترولية و الجالية الأوروبية و

المناوئين للثورة و رصد تحركاتهم و مخططاتهم و إبلاغها للمجاهدين، و قد كان المجندون في جيش التحرير الوطني رغم صعوبة الظروف يدفعون الإشتراكات دوريا و هو ما من شأنه أن يدعم الجيش بمبالغ مالية و حاجيات من ألبسة و أغذية و أدوية و ذخيرة[33] .

04- إستهداف المنشآت البترولية التي لم يخفي دوغول رغبته في إستغلالها و إستغلال البنى التحتية التي أنشأها في الصحراء الجزائرية[34] فقد عمل جيش التحرير على إستهداف مصالح هذه الشركات المتواجدة بمناطق الصحراء و خاصة البترولية منها[35] و مثال ذلك العمليات التي قامت بها وحدات من جيش التحرير في 21 سبتمبر 1957 و التي إستهدفت إثنتين من ناقلات البترول على الحدود الجزائرية الليبية و بسببها أصبحت الطريق بين غات و جانت تحت مراقبة جيش التحرير الذي قام بعدة عمليات ونصب عدة كمائن[36].

05-توسيع رقعة المعارك العسكرية للقضاء على الهدوء الذي تحاول سلطات الإحتلال الفرنسي رسمه على المناطق الصحراوية فقد بلغت التي قام بها جيش التحرير المناطق البعيد كعين صالح و تمنراست و تميمون و أدرار[37] أمام الرغبة الفرنسية في السيطرة على كامل الصحراء و لكنها لم تتمكن من تحقيق ذلك رغم ما جندته من إمكانيات ووسائل[38].

04- منطقة الهقار في استراتيجية جبهة الثورة الجزائرية (السبل و المناهج):

نظرا لموقع منطقة الهقار في أقاصي الجنوب الجزائري و ظهور أهمية استغلال الحدود الجنوبية الجزائرية مع دول الجوار لفك الحصار الذي بدأ يخنق الثورة الجزائرية بسبب تأثر الحدود الشرقية و الغربية بمخطط الأسلاك الشائكة المكهربة و حقول الألغام التي وضعت للحد من نشاط شبكات الدعم ، هذا عن الإستراتيجية العامة و التي من أجلها أنشأت المنطقة الجنوبية الصحراوية التي تعمل على طول الحدود الجنوبية ، أما عن منطقة الهقار فقد عرفت مناهج و سبل يمكن حصرها تتماشى و طبيعة المنطقة و التطورات السياسية المتعلقة بها في هذه الفترة .

لم يكن من السهل على محمد جغابة الوصول إلى منطقة الهقار كطريق أولا و هو الذي اكتسب خبرة في التعامل مع المجتمعات التي مازالت تقيم وزنا للنظام القبلي في الصحراء ، و هو ما كان إذ كان سعيه الحثيث للقاء زعيم التوارق الذي يسمى عندهم أمنوكال و شعر بأن السكان لا يعانون القهر الواضح –حسب ما عبر – و مرد ذلك إلى تمتع السلطة التقليدية القبلية بقيمتها[39] ، و هو ما ساعده على تنظيم اللقاء في سرية تامة لأن أمنوكال كان بإمكانه

رعاية مثل هذا اللقاء الذي شكلت فيه الخلايا و حسب ما استنتجت من شهادات جغابة أن موسى أخاموك هو أمنوكال و هذا ليس صحيح و انما التبس عليه الأمر للمدة القصيرة التي أقام فيها في منطقة الهقار بل كان شقيقه الأكبر باي هو أمنوكال ، و لم يكن من السهل الاتصال به و لكنه كان يدرك أهمية الموضوع فرعاه و تبناه و قدم أخاه موسى فهو لم يكن يريد أن يخذل الثورة و لا يريد أن يمنح الإحتلال فرصة شغور منصب أمنوكال بسبب انزعاجهم من مواقفه ما سيسمح لهم بالسيطرة و تحقيق أهدافه[40] ، و هو ما سيظهر حين سيكون باي في واجهة أفشال مشاريع الإحتلال الفرنسي لفصل الصحراء الجزائرية التي تحاول إيجاد الداعم لها و ما يدل على إصرار الإحتلال هو المحاولات الثلاث التي قام بها محاولا إغراءه أظهرت تفطن هذا الرجل و ذكاءه[41] .

و ما يمكن أن يقال عن منهج الثورة أنها سارت مع نظام المجتمع و تجسيد جيد من قبل صاحب المهمة يؤكد ما ذكرناه آنفا حول إستغلال أعيان القائل لخدمة القضية الوطنية ، و نظرا لظروف المنطقة استنتجت من كلام جغابة أنه استنتج ضرورة أن تتم عملية توعية و تحسيس أولا في المنطقة و هي مهمة الخلية التي شكلها[42] ، التي شرعت في جمع الإشتراكات و التجنيد سريا حيث كان المجندون يحتفظون بسر الثورة و يلتزمون بدفع الاشتراكات و تنام الوعي الذي كانت تستهدفه الثورة في المنطقة[43] ، و في مرحلة الستينات لما قررت قيادات الثورة فتح جبهة أقصى الجنوب تغيرت الإستراتيجية في منطقة الهقار نوعا ما في ظل اعتماد القيادة الجديدة على نفس المكلفين بالعملية سابقا للاستفادة من خبرتهم فأصبح المجندون ينتقلون إلى المعسكرات التي أعدت لهذا الغرض في المناطق الحدودية المالية و هناك يتلقون تدريبا عسكريا يجعلهم أكثر جاهزية للقتال[44] ، ثم عاد هؤلاء المجندون سرا لمناطقهم كما غادروها سرا بعد انهائهم مدة التدريب و رغم أن الأوامر المعطاة لعمل هذه الجبهة في مرحلتها الأولى كانت تقضي بعدم القيام بأية عمليات عسكرية حتى و لو كانت نتائجها مضمونة حتى لا يكشف مخطط الثورة ثم الانتقال إلى الهجوم بعد تهيأة الظروف الملائمة و هو بالفعل ما بدأ تجسيده حين أخذت القوات الجديدة في التنقل من مراكزها في مالي إلى معسكراتها السرية في الجزائر ، و حتى في هذه المرحلة لم تهمل الثورة العامل المحلي و نظام المجتمع في اختيار اماكن المعسكرات الاستراتيجية فعلى سبيل المثال لا الحصر معسكر تاهرت في منطقة الهقار[45].

و قد كان التنقل و اختراق الحدود صعبا و ما سهل مهمة القيادة الجديدة في المنطقة هو معرفة و تمرس قيادات القاعدة الشرقية مع النظام القبلي و خبرتهم في التجنيد و التعبئة و اختيار مساعديهم ، فقد كان المتنقل يحتاج إلى تبرير تنقله للحصول على رخصة المرور من قوات الاحتلال التي تحكم قبضتها على المخارج و

المداخل ، و قد صرح عدد من الذين عايشوا الأحداث عن صعوبة ذلك خاصة أنهم كانوا شبابا و كانت شديدي الحماس للإلتحاق بصفوف الثورة التي سمعوا عن أخبارها و التي كانت تصلهم متقطعة و على فترات بسبب بعد المسافة و عزلة المنطقة فإذا بالثورة تأتيهم جنوبا و هي المناطق التي كان سكان المنطقة أكثر تنقلا إليها(مالي و النيجر) بسبب التجارة و المبادلات أو صلات القرابة ، و هو ما أخذته القيادة بعين الاعتبار حين فتحت الجبهة و التجنيد للجزائريين حتى يسهل عليها تجسيد استراتيجية المرحلة الموالية بنجاح.

من خلال ما ذكر آنفا نستنتج أنه كانت للثورة الجزائرية إستراتيجية خاصة بالحيز الجغرافي الصحراوي و مختلفة لاختلاف الظروف و الأهداف فيه عن بقية أنحاء الوطن ، و قد طورت الثورة من هذه الإستراتيجية مع تطور هياكلها و تنظيماتها و أيضا مع تطوير الإحتلال لاستراتيجيته في الصحراء و منه فإنها أي الثورة كيفت إستراتيجيتها وفق هذا كله و لكنها بعد عام 1956م أصبحت شاملة و بعد عام 1960م أصبحت أكثر شمولية رغم الظروف الاستثنائية التي شكلت عقبات في وجه الثورة و الثوار تأقلموا معها بسرعة لأن الثورة كانت ثورة شعبية تبناها الشعب و احتضنها و ساعدها حسب امكانياته و موقعه و درجة وعيه أيضا ، و ختاما لا يمكن القول أن الواحد منا يمكنه استيفاء الموضوع حقه في هذه الأسطر المعدودة على تواضعها إلا أنه يمكنه الإسهام في كتابة تاريخنا و تسطير خطوطه العريضة و دليل على عمق الثورة و تشعب مواضيعها و حقل مزال يحتاج إلى مزيد من البحث خاصة مناطق أقصى الجنوب .

الهوامش :

(1) عبد العزيز الفيلالي ، **دراسات في تاريخ الجزائر و الغرب الإسلامي** ، دار الهدى ، الجزائر ، 2012، ، ص09-46.

(2) أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر** ، عالم المعرفة ، دار الرائد، الجزائر ، 2009، ج4، ص7-9.

(3)المنظمة الوطنية للمجاهدين ،**الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ت ، و غيرها من الملتقيات التاريخة التي جمعت بين من عايشوا الأحداث و كانو فاعلين فيها أو شاهدين عليها مع ثلة من الأساتذة خاصة في فترة الثمانينيات المسماة بالملتقيات الوطنية لتاريخ الثورة .

(4) سعد الله ، المرجع السابق ، ص12.

(5)نفسه ، ص7.

(6) لخضر بورقعة ، **شاهد على إغتيال الثورة** ، دار الأمة ، الجزائر ، 2000، ص14.

(7) محمد عباس ، **ديغول و الجزائر** ، دار هومة ،الجزائر ، 2007، ص52.

(8) محمد مبارك كديده ، **الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل الجدية و طاولة المفاوضات النهائية** ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2014، ص29-33.

(9) الهادي درواز ، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم و وقائع** ، دار هومة ، الجزائر ،2007، ص113.

(10) في هذا المجال أنظر بحثنا المقدم لجائزة الدكتور بن شنب لأحسن بحث تاريخي المدية 2012 و المعنون بـ: **دور الولاية السادسة في نشر الثورة في الصحراء** ، حيث حللنا فيه مميزات كل فترة و التطورات التي عرفتها تحت قيادة كل من قادتها الثلاث .

(11) محمد جغابة ، **حوار مع الذات و مع الغير – تحديات الفضاء الفسيح و الأزمنة المفتوحة** ، دار هومة ، الجزائر ، 2007، ج2، ص71.

(12) محمد جغابة ، **حوار مع الذات و مع الغير مد و جزر و تطلعات** ، ج3، ص45-47.

(13)نفسه ، ص45.

(14) كديده ، **الصحراء الجزائرية** ، مرجع سابق ، ص37-42.

(15)نفسه ، ص63-78.

(16)المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية ،**فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية** ، منشورات المركز ، الجزائر ، د.ت ، ص92-93.

(17)شهادة عبد الرحمان شنوفي (ضابط الولاية السادسة) ، جزء الشهادات المركز الوطني ، المرجع السابق ،ص 327-328.

(18)**حمزة بوبكر**:ولد بتاريخ 15جوان 1912ببيرزينة بالبيض،تحصل على البكالوريا من ثانوية وهران ،و دخل كلية الآداب بجامعة الجزائر و تحصل على شهادة الكفاءة المهنية للتعليم الثانوي ،عين كاتبا ورئيسا لزاوية سيدي الشيخ سنة 1949،كان أستاذا مكلفا بالدروس و أستاذ جامعي ،نائب و رئيس المجلس العام للواحات عين بتاريخ 18ماي 1957مديرا لمسجد باريس إلى غاية سنة 1982رغم قرار تنحيته قبل هذا التاريخ إلا أنه ظل عميدا لهذا المسجد ،أنظر عاشور شرفي ،**قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962**،دار القصبة،الجزائر ،2007 ،ص82-83.

(19) المركز الوطني للدراسات و البحث ، المرجع السابق ، ص92-93.

(20)عبد الحميد نجاح ، **منطقة ورقلة وتوقرت من مقاومة الإحتلال إلى الإستقلال** ، الأمل للطباعة ، الجزائر، 2003 ، ص 229.

(21)درواز ، **الولاية السادسة تنظيم ووقائع**،المصدر السابق، ص136- 137.

(22) كديده ، المرجع السابق ، ص49.

(23)إسماعيل دبش ،**السياسة العربية و المواقف الدولية إتجاه الثورة الجزائرية 1954-1962**،دار هومة ،الجزائر، 2007،ص254

(24) أحمد توفيق المدني،**حياة كفاح مذكرات – مع ركب الثورة** ،الؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1988،ج3،ص505-506.

(25) رضا مالك، **الجزائر في إيفيان**، المؤسسة الوطنية للإتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، دار الفرابي ،بيروت ،2003 ، ص387-391.

(26) بورقعة ، المصدر السابق ، ص14.

(27) مبروك بالحسين، **المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر-القاهرة)1954-1962** ،دار القصبة ،الجزائر ،2007 ،ص73.

(28) كديده ، دور الولاية السادسة في نشر الثورة في الصحراء ، مرجع سابق

(29) شهادة لحبيب جراية (ضابط الولاية السادسة)،المركز الوطني ، المرجع السابق،ص365.

(30)شهادة عبد الغني عقبي (ضابط الولاية الخامسة)،نفسه،ص332-333.
(31) شهادة عمر صخري ،(ضابط الولاية السادسة)،نفسه،ص347.
(32)شهادة الشيخ بدة ،حاوره كديدة محمد مبارك بتاريخ 2010/09/10بتمنراست.

(33) حاجي رمضان وكديده محمد مبارك ، **أوراق من خريف الثوار بمنطقة الهقار** ، بحث غير منشور يعنى بدراسة تفاصيل التجنيد و جمع الإشتراكات من خلال وثائق المكلفين بالتجنيد بالمنطقة.

(34)Charles De Gaulle ,**Mèmoires d'espoir-(Le Renouveau1958-1962),** Librairie Plon ,Paris,1970,p130.
(35)شهادة لحبيب جراية، في جزء الشهادات المركزالوطني ،المرجع السابق، ص364.
(36) المركز الوطني ، المرجع نفسه ،ص269-270.
(37)شهادة محمد جبريط (ضابط الولاية الخامسة)، ،ص325 وشهادة عبد الغني عقبي ،نفس المرجع،ص232.
(38) شهادة الطاهر لعجال(ضابط الولاية الخامسة) ،نفس المرجع،ص338.

(39) جغابة ، المصدر السابق ، ص204-214.

(40)حاجي ، المرجع السابق ، بحث غير منشور.

(41) كديده ، المرجع السابق ، ص70-74.

(42) جغابة ، المصدر السابق ، ص204-214.

(43) دفتر التجنيد لصاحبه المكلف بذلك باحبي مولود.

(44) مراسلات برادعي مولاي أحمد مع قيادات الجبهة الجنوبية .

(45) للمزيد أنظر بحثنا المعنون بـ:**دور ضباط القاعدة الشرقية في نشر الثورة في أقصى الجنوبالجزائري** ، المقدم للملتقى الوطني سوق أهراس عاصمة القاعدة الشرقية ،جامعة محمد الشريف مساعدية سوق أهراس 13-14 ماي.